



امتياز الضحية

ثمة هريان في العالم العربي افطع من اي هريان مادي. انه هريان العقل العربي. فعندما يمر الهجوم الارهابي (نعم، الارهابي!) ضد مقر اللجنة الدولية للصليب الاحمر في بغداد من دون ردود افعال تذكر في الاعلام، فهذا لا يمكن ان يعني غير الاستسلام امام منطق يريد ان يضع العرب في منأى عن قواعد الاجتماع البشري.

صحيح ان كل الدول العربية دانت الهجوم كما دانت قبل ذلك تدمير مقر الامم المتحدة، لكننا لم نلمس في الصحف والتلفزيونات الاستفطاع الذي يفترضه العمل الموجّه ضد مؤسسة دولية لا غبار على حياديتها، ولا على الخدمات التي قدمتها الى الشعوب العربية، من دير ياسين حيث كان مندوبها الشاهد الوحيد الذي وثق المجزرة، الى لبنان حيث لم يأل العاملون فيها جهداً طوال الحرب لرفع معاناة المواطنين من كل الطوائف والفئات، مروراً بالمعتقلات الاسرائيلية ووصولاً الى العراق سواء في حربه مع ايران، او تحت الحصار، او امام الهجوم الاميركي.

ولهذا التخاذل اسبابه طبعاً، لكنها ليست تخيفية على الاطلاق. السبب الاول هو على الارجح هذا الزهو العجيب بكل ما يساهم في اغراق العراق في الدم، بحجة تقديس "المقاومة".

والتقديس يبدأ باضفاء هذه الصفة تحديداً، صفة "المقاومة"، على الاعمال العسكرية التي تجري في العراق والتي تحصد من العراقيين اكثر مما تقتل من الاميركيين. غير ان هناك سبباً آخر يكمن في شيوع نظرة الى العالم تشطره شطرين لا يلتقيان الا في الصراع (او "فسطاطين" لمن يشاء تبني لغة بن لادن) ولا تترك مجالاً لاي طرف يريد ان يلتزم الحياد.

بل ان سبباً ثالثاً يفعل العاملين الاولين، وهو الذي يمكن وصفه بـ"لااخلاقية الضحية": بما اننا ضحايا، فكل شيء صار مشرعاً امامنا. انها الظاهرة التي دفعت الكثير من العرب الى تهنة النفس بهجمات ١١ ايلول ٢٠٠١ والتي تريد الآن ان تختزل العراق بساحة لمقارعة اميركا.

عود الى بدء: الولايات المتحدة في العراق، هذا صحيح، هي قوة محتلة، هذا ما يقوله القانون الدولي، وهذا ما تقوله الامم المتحدة في قرارات لمجلس الامن وافقت عليها واشنطن نفسها. ولكن هل صحيح في المقابل ان كل مشكلات العراق هي في الاحتلال الاميركي، مهما يكن بغياً؟ وهل صحيح خصوصاً ان هذه المشكلات سوف تتحل بمجرد زوال الاحتلال، وتالياً ان اي عمل يدفع في هذا الاتجاه يكون محموداً، فيستحق صفة المقاومة؟

لا ريب في ان الصلف الاميركي مزعج الى ابعد الحدود، وهو ليس مزعجاً للعرب وحدهم، وليس من عاقل في السياسة الدولية لا يتمنى تراجع النزعة الاحادية الاميركية وسقوط نظريات المحافظين الجدد في واشنطن. لكن الهزيمة التي يتمناها للولايات المتحدة المنطق الاعمى السائد في الاعلام العربي، تعني شيئاً مختلفاً، واولاً بالنسبة الى المشرق العربي.

فلنتصور لحظة العراق وقد اخلته قوات الاحتلال قبل قيام حكومة عراقية قادرة. هل ان مثل هذا السيناريو في مصلحة العرب، شعوباً ودولاً؟ حتى الانظمة التي تراهن على الوقت للتخفيف من الضغط الاميركي عليها، كالسعودية او سوريا، قد تجد نفسها معرضة اكثر جراء الفوضى التي قد تعم العراق عندئذ، هذا حتى لا نحكي عن احتمال تمركز "القاعدة" فيه، ولا عن امكان عودة النظام



البائد الى قسم منه. في المقابل، لنتصوّر السيناريو المعاكس: عراق يتعافى ويستعيد حياة سياسية ديموقراطية، وإن في صيغة الفيدرالية، فينجح في الحد من الاطماع الاميركية فيه، ويطلق مشروعاً كبيراً للاعمار ويعود الى الساحة العربية بكل التجربة التي راكمها. لا جدال في ان المشهد الثاني هو اكثر ملاءمة للخروج من عصر الانحطاط الجديد. ولكن هل من ارادة للخروج من الانحطاط؟ بالتأكيد ليس في العقل العربي السائد، اذا كان الثمن الذي يجب دفعه هو اكتشاف مدى هريانه وتخليه عن امتياز الضحية المريح.

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000709	
Media	(Support)	HC
Title		امتياز الضحية
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٣/١٠/٣١ 31/10/2003
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	اسامة بن لادن -
	Locations	أمم متحدة - لبنان - اسرائيل - عراق - ايران - سوريا - سعودية
	Dates	١١. أيلول. ٢٠٠١
	Themes	امم متحدة - شرق اوسط - عراق - القاعدة - نظام بعث. عراق - ادانة. عرب. لهجمات. ١١. أيلول - احتلال. اميركي. للعراق - نظام. صدام. حسين - اعلام. عربي - عرب - امم متحدة - صليب. أحمر - مقاومة. عراقية - مجلس. أمن - ديموقراطية
Subject		